رواية

أسير بين العصافير

عنوان الكتاب : أسير بين العصافير

اسم المؤلف : رؤى فروج

تدقيق لغوي : منار الشريف

تصميم الغلاف : أميرة نور الدين

الطبعه الاولي 2025 / 2026

رقم الايداع :

الترقيم الدولي :

مؤسسة القاهرة اليوم للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظه ويمنع طبع أو تصوير أو تخزين أي جزء من الكتاب بأية وسيلة من وسائل تخزين المعلومات إلا بإذن كتابي من الناشر.

الفصل الأول

علـى بُرشـه، يمـدّ جسـده، ويضـع يـده تحـت رأسـه، والأخـرى تـداعب العلامـة. يسأل نفسه :

" مـا الـذي أوصـلني إلـى هـذا الحـال؟ شـارب، ذابـل، شـائب؛ وعلامـة تبـيّن أننـي جاسـوس علـى عنقـي، تبعـد عنـي جميـع الأسـرى... آهٍ علـى أسـري الأول والثـاني! صـحيح أننـي كنـتُ غبيًّـا بتصـديق الجميـع، لكننـي لـم أصـل إلـى مرحلـة اتهامي بالخيانة العظمى "

تعـود بـه الـذاكرة إلـى أوّل مـرةٍ سُـجن فيهـا... فـي الثالـث عشـر مـن شـهر أيّـار عـام ألـفٍ وتسـعمئةٍ وثمانيـةٍ وتسـعين للمـيلاد، بعـد عـودة عمـر مـن المسـجد الأقصى عقب صلاة الفجر.

اسـتحمّ وبـدّل ملابسـه، ثـم جلـس بضـع دقـائق مـع والديـه، وحضّـر نفسـه للعمـل مرتـديًا ملابسـه الرسـمية: قميصًـا أسـودَ وبنطـالًا مـن الجينـز، وقـد حَشـا قميصـه داخل البنطال، وسرّح شعره وارتدى ساعته في يده.

حمـل حقيبتـه، وقبّـل يـدي والديـه، وفجـأةً... يسـمع جميـع مـن فـي المنـزل صـوت انفجارٍ هائل!

قفز الأخ الأصغر من سريره، والأخوات اللائي كُنَّ يتهيّأن للمدرسة جرين نحو الغرفة التي يجلس فيها الأبوان وعمر، وهنّ يرتجفن، والدموع تملأ وجوههنّ، وأصوات البكاء تعلو شيئًا فشيئًا. احتضن أخواته الثلاث، واحتضنه أخوه، وضمّتهم الأمّ الرؤوم الحنون إلى صدرها. بعد تفجير باب المنزل، أطلق جنودُ الاحتلال كلابَهم داخله، تنهش ما في المنزل من طعام، وتدمّر ما فيه من أثاث. اقتحم جنودُ الاحتلال القرية، واعتلى قناصوهم أسطح المنازل حول منزله من جميع الجهات.

دخل بعضُهم المنزل، وجمعوا من فيه داخل غرفة واحدة.

سأل كبيرُهم – وهو جاحظ الوجه والعينين – بعد أن عرّف عن نفسه بنبرة غاضبة:

" مَن منكم عمر؟ "

ترك عمر أخواتِه، وأجاب صارخًا، مخفيًا خوفه في تلك اللحظة، مظهرًا الشجاعة ومطمئنًا أهله ألا يخافوا ولا يحزنوا :

" أنا عمر... ما هذا الأسلوب القذر مثلكم! "

عِصابة سوداءُ ربطوها على عينيه، ويداه خلف ظهره مكبَّلتان بالمرابط. عند الباب المفجَّر وقفوا لوهلةٍ ينتظرون إشارةً من العميل الجالس مع الجنود داخل البوسطة، ليؤكد لهم أنه عُمر وليس شخصًا آخر.

بأسلوبٍ يستحي الإنسان أن يُعامِل به الحيوان، تمّ سحبه، ثم ألقوه أرضًا وبدأوا يركلونه بأقدامهم ويضحكون؛ تارةً يقلبونه يمينًا، وتارةً يسارًا، وصراخه يملأ الحيّ، وأمّه تبكي :

" دعوني أراه... دعوني أودّعه! "

قبل دخوله غرفة التوقيف، أُجري له فحصٌ طبيٌّ خبيث من بشرٍ أخبث؛ لا حرصًا على صحته، ولا رأفةً بإنسانيته، بل لمعرفة أسلوب التحقيق الأمثل. وبعد محاولات التعذيب والتحقيق التي لم يعترف خلالها بأيّ تهمة، جرى عزله انفراديًّا في غرفةٍ صغيرةٍ جدًّا تكثر فيها الحشرات والزواحف. بزاويتها حمّامٌ يُقصد به قضاء الحاجة، لا شيء فيه من الخصوصية؛ لا باب له، والكاميرات تعلو سقفه، ولها نافذة صغيرة يتفقده الجنود من خلالها... إنها الزنزانة، وليت " الزنزانة " توصف بدقّة.

فـي اليـوم التـالي لدخولـه الزنزانـة، قـادوه إلـى أسـلوبٍ جديـدٍ مـن التعـذيب: صـندوق حديـديّ طولـه سـبعون متـرًا وعرضـه ثمـانون متـرًا، فيـه ثلاثـة نُقُـورٍ فـي مواضع مختلفة يتنفّس من خلالها الأسير.

يبقـى داخلـه نحـو ثمـاني عشـرة سـاعةً يوميًّـا، واقفًـا علـى قدميـه، محرومًـا مـن قضاء الحاجة، يُسمح له بالطعام، ومعه زجاجة ماءٍ واحدة تكفيه ليومين.

يبقى هذا الصندوق في الشمس ما دام الأسيرُ بداخله.

ظـلّ ينتقـل بـين الزنزانـة والخـزائن نحـو عشـرة أيـامٍ متتاليـة مـن دون أن تجـدي معهـم نفعًـا، فأعـادوه إلـى الزنزانـة، وأتـوا بشـخصٍ أشـعثَ أغبـرَ، يبـدو عليـه الإرهاق والألم من شدّة التعذيب، ليكون رفيقَ عمرٍ في زنزانته.

ولطيبـة قلـب عمـر، لـم يحتمـل أن يـراه علـى هـذا الحـال دون أن يسـاعده؛ فـذهب وجلـس بجانبـه، وبـدأ يـنفض عـن ظهـره وصـدره الغبـار، وذاك يصـرخ مـن الألـم قائلًا :

" كلّ هذا التعذيب لأجل حجرٍ ألقيته عليهم! آهٍ يا ظهري... قدماي! "

فعاد عمر يُدلّك جسده ويقول :

– لا بـأس، لا بـأس؛ سـينتهي كـلّ شـيء... فقـط ثـق بربّـك وتمسّـك بـالحق، قـاوم، اصـبر، وجاهـد، واصـمد. لا تستسـلم للصـعاب؛ فـإنّ مـع العسـر يسـرًا. سِر على شعار **« لن أبرح حتى أبلغ »**، فهذا شعار العظماء.

تركه قليلًا وأسند ظهره إلى الجدار الخشن متنهّدًا، ثم أكمل كلامه :

" نم الآن وارتح قليلًا... نكمل حديثنا غدًا إن شاء الله "

عبد الله :

" لا يـا صـديقي، لـن أنـام الآن. إن حاولـت النـوم فلـن أسـتطيع مـن ألمـي. أريـد الكلام، محاولًا تناسيه "

عمر :

" حسنًا يا صديق... ابدأ أنت بالكلام، افتح الموضوع الذي تحب "

عبد الله :

" لا بأس... لنعرّف عن أنفسنا بدايةً "

أخذ نفسًا عميقًا ومدّ يده للمصافحة، وقال :

" اسمي عبد الله الحاج يحيى، ويلقّبونني أبو النور. تم اعتقالي لمشاركتي في إلقاء الحجارة، وبقوني مضروبًا عشرة أيام متواصلة. وها أنت ترى آثار التعذيب... تفضل، أنت الآن "

عمر :

" إن كان كل هذا التعذيب من أجل الحجارة، ماذا سيفعلون معي غير العزل الانفرادي؟ "

عبد الله :

" ماذا تقصد؟ لماذا سيعذبونك أكثر من العزل؟ "

عمر :

" كنت أشارك في إلقاء الحجارة والألعاب النارية التي تخيفهم، وغير ذلك... سرقتُهم "

عبد الله :

" سرقتَهم؟! "

عمر :

" نعـم، سـرقتُهم. سـرقت بـارودة أعطيتهـا لمقـاومي مـدينتي، ولـم أعتـرف بهـا بعـد... أوه، نسـيت أن أعـرّف عـن نفسـي. اسـمي عمـر المجـد، ويلقبـونني أبـو حذيفة "

عبد الله :

" آه... يا قدماي، آه... "

لـم يلبـث عبـد الله مـع عمـر سـوى ليلـة واحـدة، ثـم سـحبه المحققـون للتحقيـق. أخـذوا عمـر إلـى العـزل الانفـرادي تحـت التدفئـة فـي هـذا الجـو البـارد. أبقـوه فتـرة مـن الـزمن تحـت الحـرارة، ثـم فجـأة قلبـوا درجـة الحـرارة إلـى البـرودة الشـديدة. وعنـدما بـدأ جسـده يعتـاد، أعـادوا الحـرارة، وهكـذا اسـتمروا بالتبـديل حتـى أنهـك جسده تمامًا ولم يعد يستطيع الحركة.

وبعـد سـتة أيـام، نُقـل عمـر إلـى زنزانـة جديـدة بحجّـة التحقيـق. وبمجـرد دخولـه، وجـد محققًـا يتظـاهر بـاللطف جالسًـا علـى كرسـي بجانـب فراشـه. ابتسـم فـي وجهه وقال :

" لا تخـف، لـن أكـون كبـاقي المحققـين. أعلـم أنّ جسـدك متعـب، لـذا لـن أحقـق معك الآن حتى ترتاح. نم قليلًا، وبعدها سأخبر الضابط بانتهاء التحقيق "

مـن شـدّة إرهاقـه لـم يحـاول حتـى مجـرّد فهـم مـا قالـه المحقّـق؛ ألقـى جسـده علـى الفِـراش راغبًـا فـي الراحـة، وإذا بصـعقةٍ كهربائيّـةٍ تـدوم دقيقتـين متواصـلتين. ومـا إن توقّفـت الصـعقة حتـى بـدأ المحقّـق يسـأله عـن البـارودة التـي سـرقها، ولمـن أعطاهـا، وعمـر ينكـر السـرقة. وبعـد كـلّ إنكـارٍ صـعقةٌ جديـدة، وبعـد كـلّ صـعقةٍ نفس الكلام ونفس الأسئلة.

صرخ المحقّق غاضبًا في وجه عمر :

" لا تُنكر... قد قلتها بعظمة لسانك! "

قال عمر :

" لم أفعل هذا... "

قال المحقّق :

" وماذا عن الألعاب النارية؟ "

قال عمر :

" لم أفعل... لا أعلم شيئًا "

أخـذ المحقّـق نفسًـا عميقًـا، ثـمّ أخـرج جهـاز تسـجيلٍ وضـعه علـى الأرض، وبدأت الأصوات تعلو منه :

جميع كلامه مع أبي النور داخل الزنزانة من بدايته إلى نهايته.

قال المحقّق :

" وما هذا؟ أليس هذا صوتك؟ ألم تقل بنفسك إنك سرقت بارودةً منّا وألقيت ألعابًا نارية علينا؟ "

قال عمر :

" كذب! هذا كذب... قد لعبتم بالأصوات وعدّلتم عليها ليكون هذا صوتي وتُلبسوني تهمةً ليس لي بها عِلم "

في يوم محاكمته، أتى إليه المحقّق وفتح هاتفه، يريه صور أمّه والجنود من حولها، قائلًا :

" أمّك معنا، وأنت تعلم ما يمكننا فعله بها. الآن سنأخذك إلى المحكمة، وستدلي بشهادتك... وإلاا... "

وافق عمر دون تردّد كي يطلقوا سراح أمّه، وعلى الفور بدأ الكلام :

" نعم... أخذتُ بارودةً من جنديٍّ وقع أرضًا في إحدى المواجهات، وأعطيتها لأحد مقاومي مدينتي، كوني لا أستطيع استخدامها. لكن ما الذي حلّ بها لا أدري... فالشاب الذي استلمها مني قد استُشهد قبل اعتقالي بحوالَي شهر "

على إثر ما اعترف به، حُكِم عليه . بعد دفع الكفالات ومحاولات المحاميّ تخفيف العقوبة . بالسجن خمس سنوات، ولم يكن قد بلغ من العمر سوى عشرين عامًا. وعندما استقبله باقي الأسرى داخل الأقسام، استقبلوه استقبالًا حسنًا، وأعطوه ما يلزمه من ملابس وغيرها كي يستحمّ، ثم جلسوا في حلقة تعارفٍ معه. وبعد سماع قصته، نبّهوه ألا يثق بأحدٍ داخل الزنزانة مهما حدث، وأنّ من كان معه عصفورًا خائنًا.

تذكّر تعاون الأسرى معه وحنينه لهم، وكيف ابتعد عنهم عند انتهاء محكوميته. تذكّر كيف تمّ استقباله من أبناء بلده خاصّة، وأبناء شعبه عامّة. تذكّر الحفلة التي أقيمت له، والفخر الذي رآه في أعين أبويه. وتذكّر... تذكّر حبسه للمرة الثانية، بنفس الأسلوب أخذوه، وفي الزنازين ألقوه، ومع العصافير وضعوه. لكن هذه المرة لم ينجحوا معه في الزنازين بعصفورين، فاستغلّوه، وجمعوه مع كبير المقاومين في نفس المكان. فعَلا صوته عليه، وبالسبِ ظنّوا أنهم سيضعونه في مشاكل بين أبناء الشعب، ثم سحبوه إلى عصافير المرحلة الثانية.

دخل عليهم ظانًّا أنه قد دخل على أقسام السجون العادية، فاستقبلوه كما يستقبل الأسرى بعضهم بعضًا، وبدأوا بالتعريف عن أنفسهم بالكذب، وكل كذبة كانت أكبر من سابقتها. وهكذا حتى اعترف بكلّ أفعاله لهؤلاء

العصـــافير، مـــن تصـــنيع لعبـــوات الـــ (O.H.E) وتصـــنيع أســـلحة محليـــة الصنع، وتم الحكم عليه بست سنوات أخرى.

" يا الله... أحد عشر عامًا! بل سنة من عمري ضاعت هباءً منثورًا "

الفصل الثاني

يسير وحيدًا في ساحة السجن ذهابًا وإيابًا، لاحظ جلوس شاب على المقعد وحيدًا، فذهب إليه وتكلم :

- " هل تسمح لي بالجلوس إلى جانبك؟ "

= " اجلس أنت، وأنا سأذهب "

- " لماذا؟ ماذا بك؟ "

= " أخي... علامة تركها الأسرى على عنقك واضحة كعين الشمس، اتركني وحدي "

- " لست جاسوسًا، وهذه العلامة وضعها العصافير وليس الأسرى. أقسم لك، لست جاسوسًا، وقد حُكِم عليّ بالإداري منذ ثلاث سنين؛ لم أعترف بما فعلت لا بالتحقيق ولا بين العصافير... "

= " ماذا تقصد؟"

- " أخـي... أنـت الوحيـد الـذي طـاوعني ووافـق علـى الأخـذ والعطـاء معـي. أروي لـك قصـتي مـع العصـافير، فهـل تصـدقني أم أبقـى كمـا اعتـدت طـوال تلـك السنين لا يعبر عني أحد؟ "

= " مع أنني غير مطمئن، لكن اسرد قصتك عليّ "

- " هـه... لا بـأس. معـك حـق، مـع هـذه العلامـة لا تطمـئن، وهـذا هـو الفعـل الصـحيح. أنـا الآن بـدأت أعجـز وراء هـذه القضـبان. أسـرت ثـلاث مـرات، وفـي كـل مـرة كنـت أقـع فـي فـخ مختلـف. المـرة الأولـى كنـت صـغير السـن، فوقعـت فـي فـخ العصـفور الأول الـذي يـأتي إلـى الزنزانـة أشـعث أغبـر. أمـا المـرة الثانيـة، فوقعـت فـي فخـين : الأول عنـدما جـاؤوا لـي بكبيـر المقـاومين ومعـه عدتـه وعتـاده. بعـدما أبيـت البـوح والاعتـراف للجاسـوس، بـدأت أشـتمه ولـم أدع لـه طرفًـا إلا ودسـت عليـه، لكنـه كـان واعيًـا للحالـة التـي أمـر بهـا داخـل الزنزانـة فسـامحني. وعنـدما خرجـت بعـد سـت سـنوات، التقيـت بـه وعرفـت مـن يكـون، ومدح موقفي داخل الزنزانة... "

= " ولكن لماذا جمعوكما في زنزانة واحدة؟ "

- " واضحة حتى ينشروا الفتنة بين أبناء شعبنا، لكن خسئوا أن يفرّقونا "

= " أكمل، ما الفخ الآخر في نفس المرّة؟ "

– " نقلوني إلى مكان قبل إصدار الحكم عليّ ظننته أقسام السجون بالفعل، وعندما جلست معهم في تلك الحلقة بدأوا يسردون عليّ قصصًا كاذبة عن بطولاتهم حتى وقعت بالفخّ وانطلت عليّ الخدعة وقلت لهم جُلّ ما فعلت..."

أبدى ابتسامة صغيرة تظهر عليها علامات الاستهزاء بالنفس وأكمل :

" أكثر واحد انطلت عليّ خدعته هو ذاك الملتحي "

= " ملتحي؟! "

– " نعم ملتحي، بل ولم يقترب مني كباقي العصافير؛ أكمل صلاته وأمسك مصحفه وجلس في زاوية الغرفة وحده، وكونه كان يصلّي ويقرأ القرآن ارتاح له قلبي وجلست بجواره، لم يفتح فمه بكلمة واحدة، فارتحت له أكثر فأكثر وبدأت أروي له قصتي؛ تعلم مسبقًا دون أن أوضّح لك... من يوضع داخل الزنزانة ويبقى صامتًا ولا يدلي بدلوه على أحد يكون على أحرٍّ من الجمر؛ يريد إزالة الثّقل عن قلبه... "

= " وبعدما أقررت واعترفت تبيّن أنه عصفور، أليس كذلك؟ "

– " بالضبط "

= " يا إلهي، كيف تحمّلت كلّ هذا؟، وما سبب العلامة على عنقك؟ "

- " انتهى الوقت اليوم، أكمل لك في الجلسة القادمة إن شاء الله "

= " في أيّ غرفة أنت؟ أريد تقديم طلب نقلٍ إلى غرفتك "

بدأت عينا عمر تلمعان؛ في هذا السجن، هذه أوّل مرّة يصدقه أسير رغم علامة الجاسوس، وأجابه : " الغرفة التاسعة "

بالفعل قدّم طلب النّقل إلى ذات الغرفة، ولكن لم تتمّ الموافقة بسرعة، واجتمعا في الفورة التالية :

= " مرحبًا يا أخي، كيف حالك؟ "

- " أهلًا ومرحبًا بالحبيب "

= " قبل أن تقول أيّ شيء مدّ يدك للمصافحة. أنا علِيّ، وأنت؟ "

- " أهلًا وسهلًا يا علِيّ، أنا اسمي عمر "

= " عشت يا بطل، والآن لن تهرب منّي... ستكمل قصتك مع العصافير "

ضحكة صغيرة تكمل وراءها الكلام :

- " أمرك يا صاح، أين وصلنا؟ "

= " عندما أقريت وأخرجت ما في قلبك للعصفور الملتحي "

– " نعم، أدليت بدلوي له، وتبيّن أنه عصفور؛ حُكِم عليّ بالسّجن ست سنوات، حتى أصبح ما قضيته خلف القضبان بعد خروجي أحد عشر عامًا"

= " فكّ الله أسرك يا صاح "

– " أيّ أسرٍ هذا الذي سيفك؟! "

= " لمَ كلّ هذا التّشاؤم؟ أبقِ أملك بالله كبيرًا "

– " قلت لك في المرّة الأولى، حُكِم عليّ بالإداريّ "

= " ولـيكن إداريًّا، سيأتي يومٌ ويصدر اسمك في أحد الصّفقات التي يكتبها المقاومون "

– " والعلامة؟ "

= " وما شأن العلامة يا أخي؟! "

– " هل تصدّق أنّ مقاومينا سيضعون في قائمتهم أحدًا يُقال عنه داخل السجون جاسوسًا؟ كفى إيلامًا بقلبي يا أخي، كفى "

= " حسنًا، أعتذر. كيف وضعَها الخونة على عنقك؟ "

- " لا تعتذر يا صديقي، أكثر الله من أمثالك. يا لهذا الحظ؛ انتهى وقت جلستنا القادمة "

= " إلى اللقاء، ولكن في المرّة القادمة إن شاء الله ستبدأ بهذه القصّة مباشرة"

- " هه... أمرك "

الفصل الأخير

تـمّ قبـول الطلـب، ونُقِـل علـيٌّ إلـى الغرفـة التاسـعة بجـوار عمـر. وبمجـرّد دخولـه تلـك الغرفـة، بـدأ الأسـرى يحذّرونـه منـه؛ فهـذه العلامـة أكبـر دليـلٍ علـى كونـه جاسوسًا. فضحك عليٌّ منهم وقال :

" مـا بـالكم هجمـتم عليـه كـالثور الثـائر؟ لقـد طلبـتُ النقـل إلـى هـذه الغرفـة خصّيصًـا كـي أحظـى بشـرف مشـاركة هـذا البطـل غرفتـه. تقولـون إنّـه جاسـوس؟ هـذا الشـهم سـرق مـن العـدوّ سـلاحه وأعطـاه للمقـاومين لأنـه لا يسـتطيع استخدامه، وهو من صنع العبوة المسماة بـ (O.H.E) ، هو الذي... "

فقاطعه عمر صارخًا :

" كفـى ألمًـا ومهزلـة! إنّ مـا يفعلونـه هـو الصـواب. ألـم تكـن لتفعـل مـثلهم فـي بادئ الأمر؟ كفى، أرجوك "

فتقدّم أحد الأسرى سائلًا :

" ماذا تقصد ببادئ الأمر؟ "

قال عمر :

" في أوّل لقاءٍ لنا، ظنّني جاسوسًا كما تظنون أنتم الآن... "

فأجابه عليٌّ :

" لكنني أعطيته فرصةً للدفاع عن نفسه، وبالنسبة إليّ، وكما حلّل عقلي، لم يكذب في حرفٍ واحد "

قال الأسير :

" حسنًا إذًا... "

ثم التفت إلى أصدقائه وقال :

" لنسمع منه ما سيقول، فإن دافع عن نفسه بطريقةٍ تُقنع عقولنا، استقبلناه بيننا، والعكس صحيح "

قال عليٌّ :

" قصّتي كلّها مع العصافير، وهذه المرّة الثالثة التي أُؤسَر فيها "

قال عمر :

" لا تقلق يا صديقي، أنا بجانبك ولن أتخلّى عنك. أكمل "

قال عليٌّ :

" بالطبع سأكمل، ولكن بشرطٍ : إن استطعتُ إقناعكم، فلا تُظهروا أمام العدوّ أنكم عرفتم الحقيقة "

" لماذا؟ "

" لأنهم إن علموا فسوف ينقلونني من هذا القسم، ولن أستفيد شيئًا، وسأعود إلى ذات المعاناة "

" معك حقٌّ في هذه النقطة، فلك ما تريد. والآن أكمل كلامك، وحاول أن تنهي قبل مجيء وقت التفقّد "

" سأعطيكم ملخّص القصة : أُسرتُ ثلاث مرّات، وفي جميعها انطلت عليّ حيلُ العصافير. في المرّة الأولى، كان ذلك داخل الزنزانة مع رجلٍ أشعث أغبر. وفي المرّة الثانية، بعدما كشفتُ العصفور الأول، جمعوني داخل الزنزانة مع كبير المقاومين، وكان حاله رائعًا وكأنه جاسوس. فلم أدع له طرفًا إلا ودست عليه. ثم نقلوني إلى غرفةٍ تشبه هذه الأقسام، واستقبلني من فيها كما استقبلني الأسرى في المرّة الأولى. ظننت حينها أنني بأمان، وكوني أتوق إلى البوح بسبب اعتقالي، جلست معهم في حلقةٍ اعترفت خلالها بكلّ شيء، وأرحت نفسي... "

" هِاي يا صديقي، هل جلس معكم من العصافير أحد؟ "

" دعه يكمل كلامه... نعتذر، أكمل كلامك؛ بدأت تجذبني "

" لا بأس عزيزي، وكما قلت يا صديقي... قد كانوا من العصافير "

" كيف تأكدت؟ "

" لم يمضِ على ما بُحتُ به سوى بضع ساعات حتى ساقني المفتش إلى غرفة التحقيق، وبدأ يسمعني الكلام الذي كنا نتناقش فيه، ومع هذا أنكرتُ كلّ شيء سمعه ووجهت إليهم الاتهام بتركيب الأصوات. فبدأ بتعذيبي بأسلوب التعرية وألبسوني كيسًا من الخيش، ثم بدأوا بصليي بسيخٍ من الحديد وهكذا حتى تعبت وأدليت بدلوي. أتريد أن أريك بعضًا من تلك الحروق والصليات (آثار الجروح)؟ "

" تبًّا لهم... ألا يفكّرون بما يفعلون قبل الفعل؟!

ألا يهابون النار التي لا شكّ ستكون مصيرهم وأمثالهم؟

ألا يخافون الله؟ "

" أمثـالهم لا يحبّـون إلّا المـال ولا يهـابون غيـر الفقـر، كيـف تريـد مـنهم أن يفكـروا فـي نتـائج الأفعـال قبـل البـدء بهـا! هـم لا يعلمـون أنّ مـن يعطـيهم المـال للقيـام بخيانـة بلـده، مـا أن تنتهـي الفائـدة منـه سـيلقونه كمـا يُلقـى بالعظـام للكـلاب الضّالة، فيصبح مرفوضًا من عدوه ومذمومًا بين أبناء بلده "

" عارٌ عليهم، عاااار! "

" لا يعرفون العار مهما حاولنا توعيتهم "

" انتظروا... لم آتكم بسبب العلامة بعد "

" هـاي صـاح... أنـت معنـا فـي هـذا القسـم وهـذه الغرفـة تحديـدًا منـذ أكثـر مـن سنة ونصف، ولم نرَ منك غير الخير "

" لحظة، لحظة نعتّتني بالصاح! "

" اه، حسنًا... ابدأ "

" فقـط شـعرت بنخـزة فـي صـدري أشـعلت نـار الحنـين للأهـل والأصـحاب الممنوع من رؤيتهم وسماع أصواتهم "

" لـم أعرّفـك عـن نفسـي رغـم معرفتـك المسـبقة بـي، أنـا طـارق الفراهيـدي، ويلقبـونني بـ(أبـو الجـود)، رئـيس القسـم هنـا كمـا تعلـم... أهـلًا وسـهلًا بـك بيننـا يا عليّ "

ضرب طارق على صدره وأكمل كلامه :

" أيُّ شيءٍ تحتاجه، أنا جاهز "

وقف طارق وغمز بعينه لعمر، ثم قلب وجهه وبدأ بالصراخ :

" ألم تفهم بعد؟ أنت مكشوف، تحاول استغلال موعد العدّ "

" لستُ... "

" هيييه... يكفيك كذبًا "

بعد الانتهاء من إحصاء العدد، عاد طارق نحو عمر معتذرًا :

" لو لم أفعل ما فعلت، لما صدّقوا أننا ما زلنا نظن أنك جاسوس "

" هه... لا بأس؛ فهمتك من غمزتك تلك، خير ما فعلت "

" هيـه يـا شـباب صـديقنا عمـر أمـام الجنـود عـدوّنا وخلـف ظهـورهم أخٌ لنـا. والآن أكمل يا أخي "

" بارك الله فيك، في حبستي الثالثة كشفت جميع العصافير "

" وكيف أتت؟ "

" دعني أكمل يا أخي "

" عفوًا... أكمل "

" فـي هـذه الحبسـة، مجموعـة العصـافير الأخيـرة عنـدما كشـفتهم قلبـوا الجلسـة عليّ، وعلّموا على عنقي هذه العلامة كما يفعل الأسرى الحقيقيون "

" ولماذا فعلوا هذا؟ "

" حتى إذا قلت لأحد الأسرى أنهم عصافير، فلا يصدقون "

" يااااه... كم عانيت بزمانك، وهذه المرّة بماذا حُكم عليك؟ "

" ههه، أضحكتني حقًّا "

" هل قال شيئًا يضحكك إلى هذه الدرجة؟ "

" ستة أشهر إدارية... "

" لكنك معنا منذ أكثر من سنة! "

" صحيح؛ فالإداري يبقى بتجدد مستمر، لذا ترى أغلب الأسرى يعترفون بأمورٍ لم يفعلوها فقط كي لا يأخذوا حُكْمًا إداريًّا. وقبل انتهاء حكمي بيومين فقط، ذهبوا بي إلى محكمة جديدة حُكمت فيها ستة أشهر إداريّة أخرى. وبقيت على هذا الحال حتى بقيت خلف القضبان من عمري مع الحبستين الأولى والثانية ثمانية عشر عامًا : خمسًا في الأولى وستًّا في الثانية، وهذه لي فيها سبع "

" يااااه... وما مشكلتهم معك؟ لماذا يريدونك؟ "

" هم يريدون أيَّ إنسان في قلبه ذرّة انتماءٍ لأرضه "

بعد مرور ثلاث سنوات، في الثالث من كانون الثاني تحديدًا، صدرت لائحة بأسماء بعض الأسرى من قِبَل المقاومة الفلسطينية؛ تبادلًا بمجموعةٍ من الأسرى الإسرائيليين في حوزة المقاومة. وكان الاسم الذي يعلو رأس القائمة: عمر الحاج يحيى.

في الثاني عشر من شهر شباط لنفس العام، كان موعد تنفيذ الصفقة المتّفق عليها. خرج جميع الأسرى المذكور أسماؤهم في تلك اللائحة، وتمّ استقبالهم استقبالًا لا يوصف بشكلٍ معقول.

تمت...